بسم الله الرحمن الرحيم

ملامح المنهج المعتدل

وأثر وسطيته في حياة المسلمين

بحث مقدم إلى:

ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي الخامس

تأليف

عبدالرحمن بن عبدالخالق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}، {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً}، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}.

أما بعد،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ρ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد فهذه بعض الأصول والقواعد التي تبين ملامح المنهج الوسط صراط أهل السنة والجماعة أسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤلف قلوبنا عليه، وأن يجمع أمة الإسلام على كتابه وسنة نبيه وسنة خلفائه الراشدين المهديين وصحابته وآل بيته الطيبين الطاهرين، وأن يجعلنا من التابعين لهم بإحسان، إنه هو السميع العليم.

كتبه:

عبدالرحمن عبدالخالق

* أولاً: الاعتصام بالوحي:

أول مبادئ المنهج المعتدل القويم منهج أهل السنة والجماعة هو الاعتصام بالوحي المنزل على عبدالله ورسوله محمد ρ كتاب الله وسنة نبيه، وكلاهما وحي من الله جل وعلا.

قال تعالى: {**اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إلـه إلا هـو وأعـرض عـن المشـركين**} (**الأنعام:١٠٦**)، وقال تعالى: {**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بمـا تعملـون بصير**} (**هود:١١٢**)، وقال تعالى: {**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفـر لكـم ذنوبكم**} (**آل عمران:٣١**)، وقال تعالى: {**من يطع الرسول فقد أطاع الله**} (**النساء:٨٠**)، وقال تعالى: {**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**} (**الحشـر:٧**) والآيـات فـي هـذا المعنى كثيرة. فلا إيمان لمن لم يؤمن بالقرآن، ويتبع سيد الأنام محمد بن عبدالله عليه السلام.

ولذلك كان أول أصول أهل السنة والجماعة الأخذ بالقرآن، وبسنة رسول الله ρ.

فمن فرق بين القرآن والسنة فقال نؤمن ببعض ونكفر ببعض فقد كفر لأن كلاهما من الله سبحانه وتعالى.

والرسول ρ لا يكذب على الله فما حدث به عن الله فهو حق ولا شك، قال رسـول الله ρ: "وَلَكِنْ إِذَا حَدّثْتُكُمْ عَنِ اللّهِ شَيْئاً, فَخُذُوا بِهِ. فَإِنّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَىَ اللّهِ عَزّ وَجَلّ". **(رواه مسلم).**

ومن ظن أنه يسعه ترك السنة، وهي أقوال الرسول، وأعماله وتقريره، فقد كفر.

* ثانيا: صحة الاعتقاد:

لا يكون المؤمن مؤمناً حقاً إلا إذا كان صحيح الاعتقاد في إيمانه بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

وكل انحراف في مسألة أو أكثر من مسائل الإيمان فهـو خـروج عـن الـدين القـويم، والصراط المستقيم.

ولا يكون الاعتقاد صحيحاً إلا إذا كان كما أخبر الله به فـي كتابـه وسـنة رسـوله ρ، فالإيمان بالله يجب أن يكون كما وصف الله به نفسه، ووصفه رسوله مـن غيـر تمثيـل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تأويل باطل يحرف الكلم عن مواضعه ومعانيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فالأصل في هذا الباب (باب أسماء الله وصفاته) أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه.

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف، ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: **{ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون} (الأعراف:١٨٠)**.. وقال تعالى: **{إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم}** الآية **(فصلت:٤٠)**..

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى: **{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} (الشورى:١١)**.

ففي قوله تعالى: **{ليس كمثله شيء}** رد للتشبيه والتمثيل.. وقوله: **{وهو السميع البصير}** رد للإلحاد والتعطيل.

والله سبحانه: بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل كما قال تعالى: **{فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً} (مريم:٦٥)**

قال أهل اللغة: هل تعلم له سمياً أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال: مسامياً يساميه، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له سمياً مثيلاً أو شبيهاً. وقال تعالى: **{لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد} (الإخلاص:٣-٤)**.

وأما الإثبات المفصل: فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته كقوله: **{الله لا إله إلا هو الحي القيوم} (البقرة:٢٥٥)**، وقوله: **{قل هو الله أحد* الله الصمد..}** السورة.. **(الإخلاص:١-٤)** وقوله:**{وهو العزيز الحكيم} (الصف:١)**، **{وهو الغفور الرحيم} (يونس:١٠٧)** **{وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد}(البروج:١٥)**..**{هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم* هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير} (الحديد:٣-٤)**.

وقوله: **{ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم} (محمد:٢٨)** وقوله: **{فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين} (المائدة:٥٤)**.. وقوله: **{رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه} (البينة:٨)**..

وقوله: {**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد لــه عذاباً عظيماً**} (**النساء:٩٣**).. وقوله: {**إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبــر مــن مقــتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون**} (**غافر:١٠**).. وقوله: {**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة**} (**البقرة:٢١٠**).. وقوله: {**ثم استوى إلى السماء وهي دخــان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**}(**فصلت:١١**)

وقوله: {**وكلم الله موسى تكليماً**} (**النساء:١٦٤**).. وقوله: {**وناديناه مــن جانــب الطــور الأيمن وقربناه نجياً**} (**مريم:٥٢**).. وقوله: {**ويوم يناديهم فيقول أين شــركائي الــذين كنــتم تزعمون**} (**القصص:٦٢**).. وقوله: {**إنما أمره إذا أراد شــيئاً أن يقــول لــه كــن فيكــون**} (**يس:٨٢**).

وقوله: {**هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الــرحيم* هــو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبــر ســبحان الله عمــا يشركون* هو الله الخــالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فــي الســموات والأرض وهو العزيز الحكيم**} (**الحشر:٢٢-٢٤**).

إلى أمثال هــذه الآيات، والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب تعالى وصفاتــه، فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبــات وحدانيتــه بنفي المثيل، ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صــلوات الله وســلامه عليهم أجمعين.

ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة بــه، إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إلــيهم، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص ، ولم يلزم من اتفاق الاسمين، تماثــل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضــافة، والتخصــيص اتفاقهمــا، ولا تماثــل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمي الله نفسه حياً، فقال: {**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**} (**البقرة:٢٥٥**) وســمي بعــض عباده حياً، فقال: {**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**} (**الروم:١٩**) وليس هــذا الحي مثل هذا الحي، لأن قوله الحي اسم لله مختص به..

وقوله: {**يخرج الحي من الميت**} اسم للحي المخلوق مختص به، وإنمــا يتفقــان إذا أطلقــا وجردا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم مــن المطلق قدراً مشتركاً بين المسمين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز بــه الخــالق عــن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص: المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى.

* علوُّ الله على خلقه واستواؤه على عرشه:

ومن صفاته عز وجل علوه على خلقه واستواؤه على عرشه فله سبحانه وتعالى العلو المطلق علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وهو من صفاته الذاتية التي تثبت بالعقل والنقل والفطرة..

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: "وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة" **(شرح الطحاوية ص/٣٢٥)** .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "القول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.. والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين متواترة بذلك" **(درء التعارض ٢٦/٧)**

وقال أيضاً: "وإذا قيل (العلو) فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها، فما فوقها كلها هو في السماء، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله " **(التدمرية ص/٨٨)**

وقد أجمع سلف الأمة وأئمة السنة على إثبات صفة الاستواء على العرش لله عز وجل استواءً يليق بجلاله وكماله بلا كيف كما أخبر سبحانه عن نفسه في سبع آيات: {**الرحمن على العرش استوى**} **(طه:٥)**.. {**ثم استوى على العرش الرحمن فأسأل به خبيراً**} **(الفرقان:٥٩)**.. {**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**} **(الأعراف:٥٤)**..

قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني الشافعي: "وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشه فوق سماواته يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى، ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش، ويمرونه على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله" **(عقيدة السلف ص/١٥)** أي علم الكيفية.

وقال القرطبي في تفسير الجامع لأحكام القرآن: "وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك

رحمه الله: "الاستواء معلوم -يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها" **(الجامع لأحكام القرآن ٢١٩/٧)**.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله تعالي: {**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير**} **(الحديد:٤)**..

وليس معنى قوله: {**وهو معكم**} أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق" **(الفتاوى ١٧٧/٣)**

وكل ما سبق ذكره من أنواع التوحيد في الربوبية، والإلهية، والأسماء، والصفات، والحاكمية داخل في شهادة العبد {أن لا إله إلا الله}..

*** تحقيق التوحيد بإخلاص الدين لله:**

"ومن تحقيق التوحيد: أن يعلم أن الله تعالى أثبت له حقاً لا يشركه فيه مخلوق كالعبادة والتوكل، والخوف، والخشية، والتقوى كما قال تعالى: {**لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً**} **(الإسراء:٢٢)**.. وقال تعالى: {**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين**} **(الزمر:٢)**.. وقال تعالى: {**قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين**} **(الزمر:١١)**.. وقال تعالى: {**قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون**} **(الزمر:٦٤)** إلى قوله: {**الشاكرين**}..

وكل من الرسل يقول لقومه: {**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**} **(هود:٥٠)**..

وقد قال في التوكل: {**وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**} **(المائدة:٢٣)**.. {**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**} **(التوبة:٥١)**، وقال: {**قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون**} **(الزمر:٣٨)**.. وقال تعالى: {**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون**} **(التوبة:٥٩)**

فقال في الاتيان: {**ما آتاهم الله ورسوله**}.. وقال في التوكل: {**وقالوا حسبنا الله**} ولم يقل: ورسوله؛ لأن الإتيان هو الإعطاء الشرعي، وذلك يتضمن الإباحة والإحلال الذي بلغه الرسول، فالحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه. قال تعالى: {**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**} **(الحشر:٧)**..

وأما الحسب فهو الكافي، والله وحده كاف عبده كما قال تعالى: **{الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} (آل عمران:١٧٣)** فهو وحده حسبهم كلهم، وقال تعالى: **{يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين} (الأنفال:٦٤)** أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين هو الله، فهو كافيكم كلكم.

وقال في الخوف والخشية والتقوى: **{ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون} (النور:٥٢)** فأثبت الطاعة لله والرسول، وأثبت الخشية والتقوى لله وحده، كما قال نوح عليه السلام: **{إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون}** فجعل العبادة والتقوى لله وحده، وجعل الطاعة للرسول، فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله.

وقد قال تعالى: **{فلا تخشوا الناس واخشون} (المائدة:٤٤)**.. وقال تعالى: **{فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} (آل عمران:١٧٥)**.. وقال الخليل عليه السلام: **{وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون* الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون} (الأنعام:٨١-٨٢)**

وفي الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ قال ρ: "إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: **{إن الشرك لظلم عظيم}" (متفق عليه)**

ومن هذا الباب أن رجلاً خطب عند النبي ρ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ρ: "بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى" **(رواه مسلم)**

وقال: "ولا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد" **(رواه أحمد وابن ماجة)**

ففي الطاعة: قرن اسم الرسول ρ باسمه بحرف الواو، وفي المشيئة: أمر أن يجعل ذلك بحرف ثم، وذاك لأن طاعة الرسول طاعة لله، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، وطاعة الله طاعة الرسول، بخلاف المشيئة فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة لله. ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العباد، بل ما شاء الله كان، وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ الله. **(الفتاوى ٣/١٠٧-١٠٩)**

"وكان النبي ρ يحقق التوحيد، ويعلمه أمته، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت فقال: "أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء الله وحده"، وقال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن ما شاء الله ثم شاء محمد". ونهى عن الحلف بغير الله فقال: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" **(متفق عليه)**

وقال: "من حلف بغير الله فقد أشرك" **(رواه أبو داود والترمذي)**

وقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله" **(رواه البخاري)**

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها.

ونهى النبي ρ عن السجود له، ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال: "لا يصلح السجود إلا لله"، وقال: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" **(رواه أحمد والترمذي والحاكم)**

وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟" قال: لا. قال: "فلا تفعلوا" **(رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيحه)**

ونهى النبي ρ عن اتخاذ القبور مساجد، فقال في مرض موته: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا. **(متفق عليه)** قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

وفي الصحيح عنه ρ أنه قال قبل أن يموت بخمس: "الا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد، الا فلا تتخذوا القبور مساجد"، وقال ρ: "وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني"، ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة.

وذلك أن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان التعظيم للقبور بالعبادة، ونحوها، قال الله تعالى في كتابه: {**وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً**} **(نوح:٢٣)** قال طائفة من السلف: كانت هذه أسماء قوم صالحين، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها.

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي ρ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها، لأن التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام، فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق.

وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات إنما تقصد في بيوت الله، وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا تقصد بيوت المخلوقين فتتخذ عيداً، كما قال ρ: "لا تتخذوا بيتي عيداً" كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، وكما قال تعالى: {**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً**} **(النساء:٤٨)**

ولهـذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن أية الكرسي: {**الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم**} (**البقرة:٢٥٥**).. وقال ρ: "من كـان آخـر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" (**رواه أحمد وأبو داود، والحاكم**)

والإله: الذي يألهه القلب عبادة له، واستعانة، ورجاء له، وخشية، وإجلالاً، وإكراماً" (**الفتـاوى ٣/٣٩٧-٤٠٠**)

فيجب صرف العبادة كلها لله وحده لا شريك له من صلاة وذبح، ووفـاء نـذر، وصـوم، وحج، وطواف، ودعاء، وغير ذلك من العبادات. كما قال تعالى: {**قـل إن صـلاتي ونسـكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**} (**الأنعام:١٦٢**).. وقال: {**ومن يدع مع الله إلهـاً آخـر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون**} (**المؤمنون:١١٧**).. وقال: {**وقـال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عـن عبـادتي سـيدخلون جهـنم داخـرين**} (**غافر:٦٠**)..

فسمى الله الدعاء عبادة، فمن دعا غير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشـرك بالله: {**إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة**} (**المائدة:٧٢**).. {**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**} ..

هذا ولا بد في عبادة الله عز وجل من شرطين لقبولها:

أحدهما: إخلاص الدين له.

الثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: (اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شـيئاً)، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: {**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**} قال: أخلصـه وأصـوبه، قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصـاً صـواباً، والخـالص أن يكـون لله، والصواب أن يكون على السنة.

ولهذا ذم الله المشركين في القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين مما لم يأذن به الله من عبادة غيره، وفعل ما لم يشرعه من الدين، كما قال تعالى: {**أم لهم شركاء شـرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**} (**الشورى:٢١**) كما ذمهم على أنهم حرموا ما لـم يحرمـه الله.. والدين الحق أنه لا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه. (**الفتاوى ٣/١٢٤**)

* إجماع سلف الأمة على إثبات صفات الله سبحانه وتعالى من غير تحريـف أو تمثيـل أو تشبيه:

وقد أجمع سلف الأمة وأهل السنة على إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه عن نفسه.

قال حافظ الشرق الخطيب البغدادي في الصفات: "ما روى منها فـي السـنن الصـحاح، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها.

وقد نفاها قوم ; فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف.

والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغـالي والمقصـر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى فـي ذلـك حذوه ومثاله.

فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبـات كيفيـة، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد: القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها جـوارح، ولا نشـبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح.

ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنهـا لقولـه تبـارك وتعالى: **{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} (الشورى:١١)**. وقوله عز وجل: **{ولم يكن له كفواً أحد} (الإخلاص:٤)" (الكلام على الصفات ص/٢٠-٢٣)**

وقال حافظ المغرب ابن عبدالبر في التمهيد: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصـفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهـم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع، والجهمية، والمعتزلـة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقـر بهـا مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحـق فيما قاله القائلون به بما نطـق كتـاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله" **(التمهيد ١٤٥/٧)**

وقال الإمام الفقيه محمد بن الحسن الشيباني -صاحب أبي حنيفة-: "اتفق الفقهاء كلهم مـن الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عـن رسـول الله ρ في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خـرج مما كان عليه النبي ρ وأصحابه، فإنهم لم يفسروا، ولكن أفتوا بما كـان في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء" **(اللالكائي ٣٤٢/٣)**

والمقصود بقوله (من غير تفسير) أي يخالف ظاهرها اللائق بالله تعـالى، وأمـا توضـيح المعنى فقد تواتر عن الصحابة ومن أخذ عنهم العلم من التابعين توضيح معاني القـرآن بـلا تفريق بين آيات الصفات، وغيرها كما هو منثور في كتب التفسير بالمأثور.

*** القرآن الكريم كلام الله عز وجل حقيقة:**

ومن الصفات العظيمة الكريمة لله عز وجل صفة الكلام كما أخبر عن نفسه: **{وكلم الله موسى تكليماً} (النساء:١٦٤).. {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه} (الأعراف:١٤٣)..** ولم يزل سبحانه متصفاً بها على الوجه اللائق بكماله وجلاله ومن كلامه القرآن الكريم..

قال ابن قدامة المقدسي: "ومن كلام الله سبحانه القرآن الكريم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي **{لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} (فصلت:٤٢)..** وقوله تعالى: **{قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} (الإسراء:٨٨)" (لمعة الاعتقاد/١٨-١٩)**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "مذهب سلف الأمة وأهل السنة أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، هكذا قال غير واحد من السلف، روى عن سفيان عن عمرو بن دينار -وكان من التابعين الأعيان- قال: ما زلت أسمع الناس يقولون ذلك.

والقرآن الذي أنزله الله على رسوله ρ هو هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم، وهو كلام الله لا كلام غيره، وإن تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم، فإن الكلام لمن قاله مبتدئاً لا لمن قاله مبلغاً مؤدياً، قال الله تعالى: **{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه} (التوبة:٦)**، وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى: **{بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ}(البروج:٢١-٢٢)**، وقال تعالى: **{يتلو صحفاً مطهرة* فيها كتب قيمة} (البينة:٢-٣)**، وقال: **{إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون} (الواقعة:٧٧-٧٨)..**

والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه، كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله، وإعراب الحروف هو من تمام الحروف" **(الفتاوى ٤٠١/٣)**

*** ثالثاً: التزام الوسطية والحذر من الغلو والجفاء:**

الملمح الثالث من ملامح المنهج المعتدل : هو التزام الوسطية والحذر من الغلو والجفاء وذلك في الاعتقاد والعمل قال تعالى : **{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا**

بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد لــه ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً} (النساء : ١٧١).

وقال رسول الله ρ : "لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم إنمــا أنــا عبــد فقولوا عبدالله ورسوله" **(البخاري).**

الغلو في الاعتقاد هو الزيادة فيه، والغلو في العمل هو التشدد والتنطع. والجفاء في الاعتقاد هو التقصير عن الحق، وجحد الصفات والفضل والخير، والجفاء في العمل هو التفريط والتهاون والتساهل.. وكلا الأمرين مذموم.

وقد وقع بسبب الغلو والجفاء الضلال في الأمم السابقة؛ فالنصارى غلو في المسيح عليــه السلام حتى عبدوه وجعلوه إلهاً بل رباً خالقاً رازقاً مع الله.

واليهود جفوا فيه حتى نفوا عنه الرسالة والنبوة وقالوا فيه وفي أمه المقالة العظيمة.

والنصارى جفوا في العمل حتى استحلوا المحرمات، واليهود تنطعوا وتشــددوا فشــدد الله عليهم وكبلهم بالآصار والأغلال.

وقد وقع نحو هذا في هذه الأمة. ففي صفات الله سبحانه وتعالى غلا قوم في الآيات حتــى شبهوا الله بخلقه، وجفا نفاة الصفات حتى نفى بعضهم كل ما وصف الله به نفسه من صفة، بل نفوا عنه كلا الأمرين من النفي والإثبات فقال: لا نقول موجود ولا غير موجود، ولا حــي ولا غير حي..

وفي الرسول غلا أقوام من الأمة، حتى جعلوا الرسول أول الموجودات ومنه خلق الله كل الموجودات، وأعطوه صفات الرب سبحانه وتعالى. وجفا أقوام عن حقه فلم يعطوه ما أوجبــه الله من الطاعة التامة والتسليم لأمره، ووجوب توقيره وتعظيمه وتعزيره. وتقديم محبته علــى النفس والوالد والولد.

وفي الإيمان غلا أقوام من الأمة، حتى جعلوا ترك كل واجب في الدين كفراً، وفعــل كــل كبيرة كفراً ناقلاً عن الملة، ومخلداً في النار، وجفا آخرون فلم يدخلوا العمل كل العمــل فــي أصل الإيمان وجوزوا أن يكون العبد مؤمناً كامل الإيمان أو ناقص الإيمان بمجــرد الشــهادة باللسان والتصديق بالجنان فقط!!

والدين الحق وسط في ذلك فلا يوجد من العمل بعد الشهادتين ما تركه كفر غير الصــلاة التي أجمع الصحابة على كفر تاركها والتي قال فيها رسول الله ρ: "بين الرجل وبــين الكفــر ترك الصلاة". وأما فعل الكبائر وهي المعاصي والذنوب فلا يكفر بها أحد مــن المســلمين إلا بالاستحلال فقط، ومن مات على شيء من ذلك فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

*** رابعاً: العدل في الحكم على الناس:**

من أصول أهل السنة والجماعة، العدل في الحكم على الناس، وذلك أنهم الأمة الوسط. قال تعالى: {**وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شـــهيداً**} (**البقرة:١٤٣**) (ووسطا) أي: عدولاً. فهم قوامين لله شهداء بالقسط، وقوامين بالقســط شــهداء لله كما أمرهم الله سبحانه وتعالى {**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شــهداء بالقســط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بمـــا تعملون**} (**المائدة:٨**)، وكما أمرهم كذلك بقوله: {**يا أيها الذين آمنوا كونوا قـــوامين بالقســط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أوفقيراً فالله أولى بهما فـــلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملـــون خبيـــراً**} (**النســـاء: ١٣٥**).

فالقيام لله أن يكون المؤمن في كل أعماله وأقواله مريداً وجه الرب سبحانه عابداً له قائمـــاً في حدوده، منفذاً لأمره، مجتنباً لنهيه، والقيام بالقسط هو أن يكون المؤمن عادلاً في كـــل مـــا يصدر عنه من قول أو فعل أو شهادة، بعيداً عن الظلم كله.

والشهادة لله أن يدلي المؤمن في كل ما يقول منن أجل الله مراقباً ربه فيما يقول، والشهادة بالقسط القيام مع الحق والعدل في كل الأقوال والأعمال.

والمؤمن مأمور بالعدل والقسط حتى مع أعدائه، وأعداء دينه، فلا يرمي أحداً بما ليس فيه، ولا يشهد عليه بباطل، ولا يفتري عليه الكذب، وقد يكون مع الكفر عدم الخيانة كمـــا قـــال الله تعالى: {**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك..**} (**آل عمران:٧٥**) وقد يكون معـــه أيضاً التزام العهد والوفاء بالوعد كما قال الله تعالى: {**إلا الذين عاهدتم من المشركين ثـــم لـــم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم**} (**التوبة:٤**).

وكما يقوم أهل المنهج الحق بالعدل مع الناس جميعاً ولو كانوا كفاراً فـــإنهم يعـــدلون مـــع المخالفين من أهل الإسلام وحتى مع من ظلم وكفر من الفرق الضالة، فإنهم لا يكفرون إلا في حق الله تعالى وليس في حظ النفس، فلم يكفروا الخوارج مع تكفير الخوارج لهم، ولم يكفـــروا المتأولين في الصفات مع تكفير المتأولين لأهل السنة ورميهم لهم بأبشع الصفات، فأهل الســـنة والجماعة هم أهل الحق القائمين بالقسط الذين يشهدون لله، ولا يحملهم شنآن قوم أن سبوهم أو شتموهم أو كفروهم أن يكفروهم بغير حق أو يشهدوا عليهم بباطل أو يرمـــوهم بـــزور. بـــل يحكمون بحكم الله دون تعدٍ أو ظلم، فما حكم الله بكفره شهدوا بشهادة الله، ومـــن كـــان فـــي الإسلام والإيمان لم يخرجوه لحظوظ أنفسهم والأمثلة في هذا كثيرة.

فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر وأصحاب النبي ρ لم يكفروا الخـــوارج مع تكفير الخوارج لعلي والمسلمين، وهاهم أهل السنة لم يكفروا أهل التأويل في الصفات مـــن الجهمية، والمعتزلة والأشعرية وفرقوا بين مقالاتهم الكافرة وبـــين القـــائلين بهـــذه المقـــالات،

والتمسوا العذر بالجهل فيما ذهبوا إليه من التأويل، ولم يمتنعوا من قبول رواياتهم والثناء على من رد منهم بدعة أكبر من بدعته، وصلوا خلفهم إلا من استحل الكذب منهم وثبت عندهم أنه زنديق يقول ما ليس في قلبه، ويتلون ليفسد على المسلمين دينهم..

- **المجتهد المخطئ في طلب الحق مغفور له سواء كان في المسائل النظرية (التي يسميها بعض الناس أصول الدين) أو المسائل العملية (التي يسميها بعض الناس فروع الدين).**

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية. هذا الذي كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وجماهير أئمة الإسلام.

وما قسموا المسائل إلى مسائل أصول يكفر بإنكارها، ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها. فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع، فهذا التفريق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع، وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم، وهو تفريق متناقض، فإنه يقال لمن فرق بين النوعين: ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطئ فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟ فإن قال: مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع هي مسائل العمل قيل له: فتنازع الناس في محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه أم لا وفي أن عثمان أفضل من علي، أم علي أفضل وفي كثير من معاني القرآن وتصحيح بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية ولا كفر فيها بالاتفاق، ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل عملية والمنكر لها يكفر بالاتفاق، وإن قال: الأصول هي المسائل القطعية. قيل له: كثير من مسائل العلم قطعية، وكثير من مسائل العلم ليست قطعية، وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافية، وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له، كمن سمع النص من الرسول ρ، وتيقن رده منه، وعند رجل آخر لا تكون ظنية، فضلاً عن أن تكون قطعية لعدم بلوغه النص، أو لعدم ثبوته عنده، أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته.

وقد ثبت في الصحاح عن النبي ρ حديث الذي قال لأهله: "إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني الله عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين. فأمر الله البر برد ما أخذ منه، والبحر برد ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب! فغفر الله له" فهذا شك في قدرة الله وفي المعاد، بل ظن أنه لا يعود، وأنه لا يقدر الله عليه إذا فعل ذلك، وغفر الله له (**الفتاوى ٢٣/٣٤٦-٣٤٧**)

وقال أيضاً: "ولم يفرق أحد من السلف والأئمة بين أصول وفروع، بل جعل الدين (قسمين) أصولاً وفروعاً لم يكن معروفاً في الصحابة والتابعين، ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين أن المجتهد الذي استفرغ وسعه في طلب الحق يأثم لا في الأصول ولا في الفروع، ولكن هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم، وحكوا عن عبيدالله بن الحسن العنبري أنه قال: كل مجتهد مصيب، ومراده أنه لا يأثم. وهذا قول عامة الأئمة كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما.

ولهذا يقبلون شهادة أهل الأهواء ويُصلون خلفهم، ومن ردها -كمالك وأحمد- فليس ذلك ملزماً لإثمهما، لكن المقصود إنكار المنكر وهجر من أظهر البدعة، فإذا هجر ولم يصل خلفه ولم تقبل شهادته كان ذلك منعاً له من إظهار البدعة، ولهذا فرق أحمد وغيره بين الداعية للبدعة المظهر لها وغيره، وكذلك قال الخرقي: "ومن صلى خلف من يجهر ببدعة أو منكر أعاد" (**الفتاوى ١٣/١٢٥**)

وهذا واضح أن الإمام أحمد وشيخ الإسلام لم يكفرا المجتهد المخطئ وأن تركهما للصلاة خلف أهواء إنما كان لزجرهم وليس للقول بكفرهم، وأن هذا كان للمصلحة الشرعية في تقليل شر البدعة وحصرها لا أن أصحابها كفار مارقون.

وقد كان هذا هو رأي جمهور السلف أيضاً كما نقل البغوي أن الإمام الشافعي رحمه الله أجاز شهادة أهل البدع والصلاة خلفهم مع الكراهة (**شرح السنة ١/٢٢٨**). ونقل عن أبي سليمان الخطابي أنه لا يكفر أهل الأهواء الذين تأولوا فأخطأوا ويجيز شهادتهم، ما لم يبلغ من الخوارج والروافض في مذهبه أن يكفر الصحابة. أو من القدرية أن يكفر من خالفه من المسلمين فقد كان يرى بطلان الصلاة خلف هؤلاء، وعدم نفاذ قضاء قضاتهم (**شرح السنة ١/٢٢٨-٢٢٩**).

* خامساً: الحرص على هداية الناس:

من صفات المؤمنين أهل الحق أنهم أرحم الناس بالناس يحرصون على هدايتهم ويحبون لهم الخير، ويسعون في سبيل ذلك بكل سبيل كما كان الشأن في رسل الله وأنبيائه. وقد ذكر الله عن نبيه خاتم الرسل ρ أنه يكاد أن يهلك نفسه غماً وحزناً من أجل إعراض الكفار دينه

قال تعالى: {**وإن كان كبر عليك إعراضهم ..الآية**}، وقال تعالى: {**لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين**} (**الشعراء:٣**)، وقال تعالى: {**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً**} (**الكهف:٦**).

وهذا الذي ذكره الله عن رسوله صفة مدح فيه ولكن الله هوّن عليه أن ضلال من يضل بعقوبة له من الله من أجل إعراضه وكفره وعناده، وأن تلك هي مشيئته جل وعلا في أهل العناد والكفر. وأنه لو أراد هدايتهم جميعاً لهداهم ولكنه لم يشأ ذلك.

وقد كان رسول الله كذلك حريصاً على المؤمنين ، يشق عليه ما يشق عليهم، قال تعالى: {**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**} (**التوبة:١٢٨**).

فمع الكفار لم يترك النبي ρ سبيلاً لهدايتهم إلا وسلكه عرضاً لنفسه عليهم، وإلانة للقول معهم، ودخولاً إليهم بكل سبيل بالوعد والوعيد،والبيان الرشيد السديد، وضرب الأمثال، والقيام بالموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى، وغشي الرسول الكفار في نواديهم ومساكنهم وسعى إليهم تارات، ودعاهم إلى بيته أخرى وجادل اليهود والنصارى بالتي هي أحسن، وألان لهم القول، وحرص على هدايتهم بكل سبيل.. وفرح أشد الفرح بمن اهتدى منهم.

ومع أهل الإيمان كان رسول الله باراً كريماً رحيماً شفيقاً.. أحاطهم برعايته، وكلأهم بعنايته، وقام بشئونهم فعلم جاهلهم، ونشط خاملهم، وهدأ من حدة مندفعهم، وأصلح بين المتخاصمين منهم، وأطعم جائعهم، وكسا عاريهم، وعطف قلوب بعضهم على بعض، وأزال من أوساطهم البغضاء والشحناء، ودعاوى الجاهلية، وآخى بينهم حتى أصبحوا إخواناً في الدين، وهذا مع عيادته لمريضهم، وتشييعه لجنازاتهم، واستغفاره للحي والميت منهم، واهتمامه بكل شئونهم، ومراعاته لضعفائهم، وجبره لخواطرهم، عن أبي هُرَيرةَ عنِ النبيّ ρ قال: "انْتَدبَ اللّهُ لِمَنْ خَرَجَ في سَبِيلِه –لا يُخْرجُه إلاّ إيمانٌ بي وتَصْديقٌ برُسُلي– أَنْ أُرْجِعهُ بما نال مِنْ أَجْر أو غَنيمة, أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنّة. ولَوْلا أَنْ أَشُقّ عَلَى أُمّتي ما قَعَدْتُ خَلْفَ سرِيّةٍ, ولَوَدِدْتُ أَنّي أُقْتَلُ في سَبِيلِ اللّهِ ثمّ أُحْيا, ثمّ أُقْتَلُ ثُمّ أُحْيا, ثم أُقتَل" (**رواه البخاري**).

وهذا الخلق النبوي الرفيع، من الحرص على هداية الخلق، والرحمة والرأفة بالمؤمنين، والتألم لما يشق عليهم، والخوف مما يفتنهم هو ما يسعى المؤمنون للتحلي والتخلق به حسب طاقتهم: سعياً في هداية الخلق ومحبةً وفرحاً بمن يهديه الله ويدخله في الإسلام، وسعياً في تأليف القلوب، وإصلاح أحوال أهل الإسلام، ومحبة لأهل الإسلام، ورغبة في أن يُوَفق كلاًّ منهم للخير، ومما يؤثر في هذا الصدد قول الشافعي رحمه الله: ما جادلت أحداً إلا ودعوت الله أن يظهر الحق على لسانه.

والخلاصة: أن أهل السنة والجماعة من المؤمنين والمسلمين مقتدين برسول الله ρ كما وصف الله أصحاب رسوله ρ: {**محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيما**} **(الفتح :٢٩)**.

وكما قال في وصف من أحبهم الله: {**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**} **(المائدة:٥٤)**.

والشاهد أن أهل الإيمان الحق هم من أهل التراحم والتعاطف فيما بينهم كما وصفهم الرسول ρ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" **(مسلم)**. وهم خير الناس: حرصاً على هدايتهم، ورغبةً في إسلامهم، وسعياً في سبيل ذلك.

* سادساً: عدم استعجال النتائج:

للجهاد في سبيل الله، والقيام بأمره، والدعوة إليه نتائج باهرة في الدنيا، من النصر والتمكين، وحصول البركات، وامتداد الأمن، ورفع الظلم، وعلو أهل الحق، وسفول أهل الباطل، وعزة الإسلام والمسلمين، وإذلال الكفر والكافرين. ولكن هذه النتائج العظيمة لا تتحقق من أول الطريق، وقد يطول انتظارها، ويتأخر حصولها، لحكم عظيمة يريدها الله لأهل الإسلام تربيةً وتزكيةً لهم، وتطهيراً لقلوبهم، وتعليقاً لها بالهدف الأسمى والغاية الأعظم، وهو فوز الآخرة وحصول الرضوان، وإعلاء منزلة الإيمان بحصول صنوف الابتلاءات لهم، وتحمل المشاق، وصبرهم على الأذى، قال تعالى:

{**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**} **(البقرة:٢١٤)**، وقال تعالى: {**حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**} **(يوسف:١١٠)**.

روى الإمام البخاري بإسناده إلى خباب بن الأرت τ قال: "شَكَونا إِلى رسولِ الله ρ وهو مُتَوَسّدٌ بُردَةً لَهُ في ظلّ الكعبةِ – قلنا له: ألا تَستنصرُ لنا, ألا تَدعو اللهَ لنا؟ قال: كانَ الرّجلُ فيمن قبلَكمُ يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه, فيُجاء بالميشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقّ باثنتَين, وما يَصُدّهُ ذلك عن دِينه, ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب, وما يَصدّهُ

ذلكَ عن دينه. والله لَيتمّنّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخـافُ إلاّ اللهَ, أوِ الذّئبَ على غنمه, ولكنّكم تَستَعجِلون" **(رواه البخاري).**

وقد أعز الله أمة الإسلام وأقر عينها بالنصر والتمكين في حياة رسولها ρ فإنه لـم يمـت حتى دخل العرب جميعاً في دين الله أفواجاً ودانت له جزيرة العرب كلها مـن أقصـاها إلـى أقصاها، ووصلت دعوة الإسلام إلى كسرى وقيصر، والمقوقس وعظمـاء الأرض وأصـبح الجميع على خوف ووجل ثم ساحت أمته في الأرض بعده فتحاً ودعوةً حتـى أدخلـوا عامـة شعوب الأرض في الإسلام، وعلا منار الإسلام في كل مكان، ثم إنه حصل للمسـلمين آفـات وآفات، وردة وردات، ولا يزال طائفة على الحق تدعو إلى الله وتجاهد في سبيله وتنصر دينه حتى يقاتل آخرهم الدجال، وكلما قام جهاد لله تحقق جانب مـن موعـود الله للأمـة بالنصـر والتمكين، ولا تزال الأمة تبتلى بصنوف الابتلاءات **{أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مـرة أو مرتين}** وتسير بين عزٍ وذلٍ **{وتلك الأيام نداولها بين الناس}.**

ولن تقوم الساعة حتى لا يدع الإسلام بيت حجر ولا مدر إلا أدخل الله الإسلام فيـه بعـز عزيز ينصر الله به الإسلام، وبذل ذليل يذل الله به الشرك وأهله.

وعلى المؤمنين أن يكونوا دائماً واثقين من تحقيق موعود الله لهم فـي الـدنيا والآخـرة، وألا يستعجلوا نتائج جهادهم ودعوتهم، بل يدعو أمر هذا إلى الله سبحانه ويقوموا بمـا أوجـب الله عليهم من الإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيله.

و**{لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشـاء وهـو العزيز الرحيم} (الروم:٤–٥).**

* سابعاً: التعاون على تحقيق مقاصد الشريعة:

من ملامح المنهج المعتدل التعاون بين المسلمين وغيرهم على تحقيق مقاصـد الشـريعة، وإعلاء كلمة الله في الأرض، فأما المسلمون فالأخوة والموالاة فرض لازم يجب علـى كـل مسلم أن يوالي كل مسلم في الله **{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله والذين آمنوا فإن حـزب الله هـم الغـالبون} (المائدة :٥٥–٥٦)** فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه، ولا يحقره.

ومثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وأما مع غير المسلمين فإن كل تعاون يكون فيه نصر الدين وتعظيم شعائر الله، وتحقيـق مقاصد الشريعة، فإنه واجب كما شرع الله للمسلمين التعاون مع كفار قريش في الحفاظ علـى حرمة الشهر الحرام، ومشاعر البلد الحرام، ومن يأمون المسجد الحرام. قال تعالى: **{يا أيهـا**

الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهرالحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على البر والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب} (المائدة:٢).

وقد تعاقد الرسول مع قريش، وخزاعة، واليهود، وكان في هذه العهود والعقود نوع من التعاون على تحقيق مصالح للمسلمين.

والحاصل أن التعاون على البر والتقوى بين المسلمين فرض لازم فيما فرضه الله من التعاون، أو مندوب مستحب فيما لم يوجبه الله، وأما مع غير المسلمين فإنه مشروع في كل ما يحقق مقاصد شريعة الإسلام، فقد قال النبي ρ يوم الحديبية: "لا تدعوني قريش إلى أمر تعظم به هذا البيت.. إلا أجبتهم له.."

ولما سأله اليهود أن يبقيهم في خيبر على نصف ما يخرج منها أجابهم لما رأى في هذا من الإرفاق بالمسلمين والنفع لهم.. "وقد كان عامل يهود خيبر على أن نخرجهم إذا شئنا" **(مسند أحمد).**

وأشاد النبي ρ بحلف الفضول وهو من أحلاف الجاهلية وقال: "لو دعيت في الإسلام لمثله لفعلت وذلك أن هذا الحلف كان لنصر المظلوم".

* ثامناً: التحرر من التعصب:

كل عصبية تؤدي إلى التفريق بين المسلمين وإشاعة البغضاء بينهم، فهي محرمة مذمومة، ولو كانت تحت مسمى شريف، كالهجرة، والنصرة، أو القرّاء، أو أهل الحديث، أو إلى بلد كالمدينة ومكة، أو وطن، أو جنس، أو لغة، أو شيخ، أو مذهب فقهي، وأشد العصبيات شراً ما كان تعصباً لبدعة أو نحلة مفارقة لجماعة المسلمين.

والتعصب المذموم ما كان تحت مسمى من تلك المسميات أو غيرها يقوم بين أهله الولاء والبراء دون سائر المسلمين وذلك أن:

أمة الإسلام واحدة:

المسلمون كافة أمة واحدة من دون الأمم وإن تفرقت دولهم، وتباعدت أوطانهم، تربطهم العقيدة الإسلامية "المسلم أخو المسلم" **(متفق عليه)**، وتجمعهم الأخوة الإيمانية: **{إنما المؤمنون أخوة} (الحجرات:١٠)**، وهم في الحقوق والحرمات سواء "المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" **(رواه أبو داود وابن ماجه)** لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالإيمان والعمل الصالح **{إن أكرمكم عند الله**

أتقاكم}.. "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" **(رواه الترمذي وصححه الألباني في الجامع ٦٧٠٦)**.

وجوب الموالاة والتناصر:

ويجب عليهم التناصر والتناصح والاجتماع، ويحرم عليهم التباغض والغش والافتراق. قال تعالى: **{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}** **(آل عمران:١٠٣)** وقال: **{ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}** **(الأنفال:٤٦)**.

وقال ρ : "الدين النصيحة" **(رواه مسلم)** وقال: "انصر أخاك" **(رواه البخاري)** وقال "لا تباغضوا ولا تدابروا" **(رواه مسلم)**.. والعمل على جمع وحدتهم ولم شملهم وإصلاح ذات بينهم من أعظم الواجبات..

قال العلامة السعدي: "إن السعي والدعوة إلى جمع المسلمين وإلى إصلاح ذات بينهم هو أفضل الأعمال وإنه أفضل من استغراق الزمان بالصوم والصلاة، ومن أعظم وأجل الجهاد في سبيل الله وعلى المسلمين أن لا يجعلوا الاختلاف بينهم في الأقوال والمذاهب في الملك والسياسة حائلاً يحول بينهم وبين الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية، بل تجعل الخلافات كلها والأغراض الجزئية تبعاً لهذا الأصل الكبير" **(السياسة الشرعية ص/١٣)**.

من المسلم؟!

والمسلم هو من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم يأت بما ينقض ذلك. قال رسول الله ρ: "من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم" **(رواه البخاري)**.

وقد يجتمع في المسلم خير وشر، وسنة وبدعة، وطاعة ومعصية فيبقى له من الولاء والحب بقدر ما معه من الطاعة والخير، ويبغض ويعادى بقدر ما معه من المعصية والشر..

قال شيخ الإسلام: "وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع له من هذا وهذا.. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم" **(مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٩)**.

حكم الفرق المنسوبة للإسلام:

ويدخل في عموم أهل الإسلام الثنتان والسبعون فرقة. قال شيخ الإسلام: "فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً بل مؤمنين فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد كما

يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام بل جعلهم أمته ولم يقل أنهم يخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته" (منهاج السنة ٥/٢٤١) ولا يخرج المسلم من الإسلام إلا بالدليل القطعي.

قال شيخ الإسلام: **"وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بتيقن لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة" (مجموع الفتاوى ١٢/٤٦٦).**

ولا يلزم إذا كان القول كفراً أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل، فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه وذلك له شروط وموانع وإذا لم يكونوا كفاراً لم يكونوا منافقين فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويترحم عليهم.." (منهاج السنة ٥/٢٤١).

فمن اتخذ دون المسلمين فرقة أو جماعة أو حزباً وجعل لهم مسمىً خاصاً يوالي عليهم ويعادي عليهم دون سائر المسلمين، ويفرق بذلك جماعتهم فقد دعا إلى معصية، وقد قال رسول الله **ρ**: "لَيْسَ مِنّا مَنْ دَعَا إلى عَصَبِيّةٍ, ولَيْسَ مِنّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيّةٍ, ولَيْسَ مِنّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيّةٍ" **(رواه أبو داود).**

* تاسعاً: عدم المنافاة بين الالتزام بثوابت الوحي ومتغيرات الواقع:

الدين الذي أنزله الله سبحانه وتعالى، والشرعة التي شرعها لنا هو الحق الثابت إلى يوم القيامة {**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً**}، وقال تعالى: {**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم} (المائدة:٣).**

فما أخبر الله به من خبر فهو حق وصدق، وما شرعه فهو حق وصدق، وما أحله الله فهو الحلال إلى يوم القيامة، وما حرمه فهو الحرام إلى يوم القيامة، وما حده من حدود، ووضعه من شروط، فهو على النحو الذي شرعه لنا إلى يوم القيامة.

ولا ينافي ذلك: أن تتغير الأحوال فتتغير الأحكام تبعاً لذلك، وهذا التغيير قد جاءت به الشريعة كذلك في أبواب الضرورة ورفع الحرج، وسقوط التكليف عند تعذر القيام بالأمر. كقول كلمة الكفر لساناً دون القلب للمكره، وأكل ما حرم الله من الميتة وغيرها للمضطر.. وتقاة الكفار في حال دون حال، واختيار نوع الإنكار بالقلب واللسان دون اليد لعدم القدرة، وتحول المسلمين اليوم من جهاد الطلب إلى جهاد الدفع، بل اضطرارهم في كثير من أوطانهم

إلى الصبر على الأذى والقتل والتعذيب دون القيام بجهاد الدفع الذي هو من أعظم الفرائض والواجبات، وكل هذه المتغيرات ليست ابتداعاً في الدين، ولا تشريعاً جديداً بناقص أو ينافي تشريع رب العالمين، بل هي من الشريعة المطهرة التي جاء بها الوحي مراعياً المتغيرات، والظروف، والأحوال.

ومن أوقع حكم الشريعة في محله مراعياً ظروف الاستخلاف والاستضعاف فقد وفقه الله لاتباع الحق.

* عاشراً: مراعاة الأولويات:

من أصول منهج أهل الحق والاستقامة أن يراعوا الأولويات في العمل والدعوة والجهاد، فمن ذلك:

* البدء بالأهم فالمهم: كما في حديث معاذ عندما أرسله الرسول ρ إلى اليمن قال: "إنكَ تَقدَمُ على قومٍ أهلِ كتابٍ, فلْيكُنْ أولَ ما تدَعوهم إليهِ عبادةُ اللهِ, فإذا عَرفوا اللهَ فأخبرهم أنّ اللهَ قد فرضَ عليهم خمس صلواتٍ في يومِهم وليلتَهم, فإذا فَعلوا الصلاةَ فأخبرهم أنّ اللهَ فرضَ عليهم زكاةً من أموالِهم وتُرَدّ على فُقرائهم, فإذا أطاعوا بها فخُذْ منهم, وتَوَقّ كرائمَ أموالِ الناسِ" **(البخاري)**.

* ومن ذلك الاهتمام بالواجبات قبل المستحبات والمندوبات كما في الحديث الإلهي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ρ: "إن اللّهَ قال: من عادَى لي وَلَيّاً فقد آذَنْته بالحرب. وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افتَرَضْته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه, فإذا أحببَته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها, وإنْ سألني لأَعطينه, ولئن استعاذ بي لأعيذَنه. وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترَدّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه الموتَ وأنا أكرَه مَساءته" **(البخاري)**.

* ومن ذلك الاهتمام بالعدو القريب قبل البعيد: قال تعالى **{يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين} [التوبة:١٢٣]**.

* ومن ذلك دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح كما جاء في الحديث: عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنهُ سمعَ النبيّ ρ يقول: "لا يَخلُوَنّ رجلٌ بامرأة, ولا تُسافِرَنّ امرأةٌ إلا ومعَها مَحْرَم. فقامَ رجُلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ, اكتُتِبْتُ في غَزوةِ كذا وكذا, وخرَجتِ امرأتي حاجّة. قال: اذهَبْ فاحجُجْ مع امرأتك" **(البخاري)**.

* ومن ذلك تحصيل أعظم المنفعتين فمن لم يكن له خيار إلا بتحصيل منفعة واحدة وتفويت أخرى فليأخذ الكبرى ويدع الثانية.. وكذلك من كان الاختيار له إلا

بارتكاب مفسدة من اثنتين فليرتكب أخفهما ضرراً كما جاء في حديث أنسِ بن مالك أنّ أعرابياً بالَ في المسجدِ, فقاموا إليه, فقال رسولُ الله ρ: "لا تُزرِموه. ثم دعا بدلوٍ من ماء فصبّ عليه" (**البخاري**). وكما ترك الرسول ρ حصار الطائف وعاد عنها كانت المفسدة في البقاء أكبر.

واتباع الأولويات باب عظيم من أبواب الفقه، ولعله أعظم أبواب الاجتهاد فإن الترجيح بين المصالح والمفاسدة، وتقديم الأهم على المهم، وترتيب منازل الأعمال والاعتقادات، والدعوة والجهاد، أمر عظيم لا يوفق إليه إلا كل عالم موفق، وإذا اجتهد الإمام فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.

* حادي عشر: التحلي بمكارم الأخلاق:

الإسلام رسالة أخلاقية، فغاية الإسلام هو تزكية النفوس وتطهيرها، **{قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى}**، **{قد أفلح من زكاها * وقد خاب من زكاها}**، وقال تعالى: **{هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} (الجمعة:٢)**.

وقال ρ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق".

فالإسلام كله تزكية للنفس وذلك بالإيمان بالله الذي هو أعظم زكاة للنفوس وذلك أن ضد الإيمان هو الظلم ولشرك، والكفر، والجحود، والإعراض وكل ذلك نجاسة للنفس، ثم إن شرائع الإسلام كلها بر وإحسان: بدءاً بقول لا إله إلا الله، وأدناها بإماطة الأذى عن الطريق.

فالعبادات من الصلاة والقيام والزكاة، والحج أداء لحق الله المنعم المتفضل الكريم الذي أنعم بالوجود والخلق والرزق وسائر الأنعام **{يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك} (الأنفطار:٦-٨)**.

ثم إن بر الوالدين، وصلة الأرحام، وصدق الحديث، وأداء الأمانات، وتطهير البدن والثياب والمكان، والبعد عن النجاسات كل ذلك من تزكية النفوس والتحلي بمكارم الأخلاق وهكذا سائر الشرائع **{إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون}**. فالإسلام كله لتزكية النفوس وتطهير الأخلاق من كل انحراف ودنس وقذر..

ويجب إبراز هذه الغاية والسعي إليها. لأن لمعرفتها تعرف أهداف الرسالة، ويكون السعي دائماً إلى هدى، بدلاً من أن يكون السعي إلى ضلال.. فإن من انحرف عن هذا الفهم انحرف عن الصراط، كما قال ρ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" (**أحمد**). وكما قال ρ في امرأة

تقوم من الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها: "لا خير فيها هي من أهل النار.." (**أحمد**)، وكما قال ρ: "لا يدخل الجنة قتات" (**البخاري**)، و "لا يدخل الجنة قاطع" (**البخاري**).

وكل هؤلاء مقصرون في حق الناس خارجون عن الخلق الحسن وقد يظنون أنه بالعبادات فقط يكونوا صالحين، بل لا يتم معنى الصلاح إلا بتزكية النفس وأخذ الأخلاق الكريمة من جميع وجوهها، والتخلق بالخلق الكريم نحو الله وملائكته ورسله والناس..

آثار الالتزام بالمنهج الوسط في حياة المسلمين

إذا اتبعنا الأصول السابقة فإنه سيكون هناك آثار تترتب على ذلك هي بمثابة النتيجة والثمرة للسبب والعمل ومن ذلك:

* الهداية إلى صراط الله المستقيم:

وهي أعظم النعم ، وهي التي ندعو بها وجوباً في كل ركعة من صلاتنا {**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**} هداية بيان وإرشاد وتعليم ، وهداية توفيق وتثبيت وتزيين ويقين . اللهم اهدنا لذلك يا رب العالمين.

فمن أرشده الله إلى الحق، وهداه لما يختلف الناس فيه، وعلمه دينه وهداه طريقه ثم حبب إليه الإيمان وزينه له في قلبه، ورزقه التمسك به، واليقين، فقد أنعم الله بخير نعمة ينعم بها على عبده في الدنيا. قال تعالى {**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**}، وقال تعالى {**الرحمن * علم القرآن**}، وقال تعالى {**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**}، وقال تعالى {**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**}، وقال تعالى {**من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً**}، وقال تعالى {**ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**}.

* اجتماع الكلمة:

ثم إن الأمر الثاني لذلك أن تجتمع كلمة أهل الإسلام وتتوحد قلوبهم وصفوفهم، ويكونوا أمة واحدة يوالي بعضهم بعضاً، ولا يعادون إلا أعداء الله وأعداءهم، وبذلك تقوى شوكتهم ويعظم أمرهم، ويذوب عدوهم.

* الطمأنينة وعدم الاضطراب:

ومن آثار ذلك أيضا حصول اليقين، وطمأنينة القلوب، وزوال الاضطراب، والشكوك {**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**}

(يوسف:١٠٨)، وقال تعالى {**فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد أباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص**}.

فالسائرون على صراط الله المستقيم، والذين رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ρ نبياً ورسولاً يسكب الله في قلوبهم حلاوة الإيمان كما قال ρ: "ثَلاثٌ مَنْ كُنّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيْمان: أَنْ يَكونَ اللّهُ ورسولُه أحبّ إليه ممّا سِواهُما, وأنْ يُحِبّ المَرْءَ لا يُحبّهُ إلاّ لله, وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النّار" (**البخاري**).

* **استمالة قلوب الناس وترغيبهم في الإسلام:**

عندما يصبح المسلمون أمة قائمة بأمر الله، قد زكت نفوسهم، وطهرت أعمالهم، وكان كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. فإن هذا سيستميل قلوب الناس إليهم، ويرغبهم في دينهم. بل سيدخل الناس في دين الله أفواجاً إذا رأوا ذلك كما كان في الصدر الأول فإن شعوباً بأسرها دخلت الإسلام لما رأت حال المسلمين فقد وصلت شعوب بلاد الشام، ومصر، وإفريقيا عامتهم بمجرد الفتح لما رأوه من حال الإسلام صدقاً وطهارةً وزكاة أنفس..

وما زال لليوم من يدخل في الإسلام إنما يدخل غالباً لتأثره من خلق بعض المسلمين ممن لا يزالون على الدين الصحيح والمنهج القويم، وإن كان في المسلمين اليوم الصادين عن الدين المنفرين منه بسبب ظلمهم وسوء أخلاقهم ونجاسة أعمالهم..

* **نجاح الدعوة:**

ستبلغ دعوة الإسلام غايتها في النصر والتمكين والظهور على كل دين في كل الأرض بتحقيق الشروط السابقة، وإتصاف أهل الإسلام بما وصف الله به عباده المؤمنين المسلمين الصالحين {**ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله * ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**} (**الروم:٤-٥**).

* **الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة:**

من ثمرات الإيمان والعمل الصالح الحياة الطيبة في الدنيا والفوز برضوان الله وجنته في الآخرة. قال تعالى {**من عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعلمون**} (**النحل:٩٧**).

والحياة الطيبة هي حياة المؤمن القائم بأمر ربه، المطمئن قلبه بذكره، المتوكل عليه، المستعين به، والمستنصر به، وهي حياة رسل الله وأنبياؤه، وأولياؤه، فهم وإن كانوا في

ضيق من الدنيا، وكرب من المشركين والكافرين والظالمين، إلا أنهم كانوا في سعادة ويقين وراحة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لسارعوا إليها رغبة في تحصيلها ولكنهم عمي عنها من عمى بكفره وعناده وإعراضه..

وأما الجنة فهي دار السعادة والحبور والسرور والمتعة واللذة الدائمة التي لا تنتهي ولا تنقطع والتي أذهب الله عن أهلها الحزن كل الحزن، والنصب كل النصب، واللغو، والغضب والشحناء والبغضاء {**لا تسمع فيها لاغية**}، {**الحمد لله الذي أذهب عن الحزن إن ربنا لغفور شكور**}، {**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين**}.

فنسأل الله بإحسانه ورحمته وعطفه وكرمه ومنّه أن يكفر عنا سيئاتنا وأن يدخلنا الجنة مع عباده الصالحين، إنه هو البر الرحيم الغفور الودود.

هذا ما يسر الله جمعه في هذه العجالة والحمد لله أولاً وأخيراً..

****

****

****